حلم قتله الانتقام

مجد محمود

تصـــفيقات عـالية، صـــفير أعلى، زهور جميلة تتناثر هناك على المسرـح، والأجمل منها تلك الزهرات التي تقفز فوقه سـعيدة بإنهاء تلك الرقصـــة العظيمة، وبين الهتاف وابتســـامات الجماهير لتلك الزهرات راقصـــات الباليه للمحترفات، كانت هي تجلس في المقاعد الأمامية ألمخصصة لطبقات المجتمع المرموقة، لكنها تجلس رغما عنها لأنه ببســـاطة ليس مكانها، فمكانها بين تلك الراقصـــات تطير معهن كنســـمة عليلة، وتقفز بينهن كفراشـــة بين الورود الفاتنة الجميلة، لكن ها هي ترثي حلمها، فغيرها يحقق ما كانت تتمنى هي تحقيقه، ويفعل ما كانت تتمنى فعله هي، انســـابت عبراتها في مرارة وألم وهي تقف في عجز متكأة على عصاها، تنظر إلى ساقها المبتورة في حسرـة وضـعف شـديدين لترفع بصرـها بعد ذلك لحبيبها الذي يجاري الراقصات روعة برقصه أيضاً، يا للأسف!! كان من المفروض لو أنها استطاعت المشاركة في تلك المسابقة حتى تستطيع الرقص في هذه الحفلة الضخمة، هذه الحفلة ألتي لا شك في أن حلمها كان سيتحقق على مسرحها بحيث تصبح راقصة باليه مشهورة، شهقت في ألم قاتل لأنها لا تســـتطيع متابعة المشـــاهدة، فلا يمكنها تحمل رؤية خطوات رفيقاتها الرشيقة وأجسادهن المرنة على المسرـح مع حبيبها الذي يجاريهن في الرقص كأنه سرب من حمامات فاتنات ناصـعات البياض، وضـعت كفها الصـغير على ثغرها تخنق صرخة عالية تختبئ في صدرها واتجهت تعرج بألم يفتت روحها إلى الخارج فقد قررت انتظار ذلك النسرـ الذي كان يبدوا مستمتعا جدا بالعرض خلف المسرـح في الحجرة الخلفية، دلفت للداخل ورمت بثقل جسـمها الذي لا يجاري ثقل الألم في قلبها، وأطلقت في اسـتسـلام

شـهقاتها علها تخفف عنها مرارة الحسرة والخذلان اللذان جعلا من هذا اليوم مأتما لحلمها بدلاً من أن يكون عرسا لنيل أمنيتها.

لم تبك كثيراً عندما بترت ساقها، بل أصيبت بحالة هستيرية موجعة لم تكد تخرج منها، ومع ذلك لم تفكر بأنها عندما تشـــاهد هذا العرض ســـيخلف ذلك هذا الكم الهائل من الوجع، لم تتخيل أنها عندما ستشاهد رفيقاتها يرقصن ستشعر أنهن يرقصن على ساحتها وحلمها وأمانيها و آمالها، تحطم حلمها اليوم وانهارت أكثر حين تـذكرت كيف كانـت ترقص منـذ مـدة وجيزة، خطواتها متناغمـة، تتحرك بمرونة ورشـاقة تحت المطر وفي أوقات السـحر، مع نسـائم الفجر وأثناء ساعات السهر، كانت ترقص في كل وقت وحين لا تكف عن التدريب والاجتهاد، كلما سـنحت لها الفرصـة تجدها في نشـاط تنتعل "الباليرنا" خاصتها لتقف على أطراف أصابعها وتبدأ بالتحرك بخفة هنا وهنا كريشـــة طائر يداعبها الهواء، فيحس الناظر لها بأنها تطير في عالمها بين أحلامها وتلامس البدر بآمالها، لكن!! ها هي الآن قابعة في واقع مرير، بحلم ضائع مبتور كساقها.

تذكرت الحادث قبل أســـبوعين أو أقل عندما حدث ذلك الحادث الشـنيع الذي أدى بها إلى هذه الحالة، كانت يومها تسـتعد للذهاب لتجربة الأداء الأخيرة التي لو نجحت فيها لكانت ترقص الآن على هذا المسرج مع حبيبها ورفيقاتها. كانت آنذاك قد وضعت أغراضها في حقيبتها واتجهت إلى الخارج مسرعة وهي تتصـل بحبيبها الذي تأخر عنها، هتفت بقلق عندما فتح الخط:

_رواد.. أين أنت!!؟

أتاها صوته الهادئ وهو يقول:

_في الأسفل.. لقد وصلت للتو.

خرجت حينها متجهة نحوه، الفرحة تغمرها وشعراتها بندقية اللون تتطاير مع نسمات الهواء العليلة، عانقته في حب وهو يقف بجوار سيارته، بادلها العناق وسمع صوتها الرقيق يتسلل إليه وهي تقول بتوتر:

_اليوم هو يوم تجربة الأداء الأخيرة، لقد تعبت كثيراً وأنا أتدرب، هل سأنجح يا ترى؟

ابتسم لها وهو يحيط وجهها بكفيه ويقول:

_همس... أنت تعبت كثيرا كما قلت، وما جزاء التعب إلا النجاح في نهاية المطاف، ستنجين حبيبتي ثقي بنفسك.

أخذت نفسا عميقا وتمتمت:

_سأنجح أجل.

كان هو يراقبها بهدوء، نفس الكلمات؛ نفس الحركات المتوترة، ملامح القلق نفسها، أخته "سناء" أجل.. كانت على نفس هذه الحالة أيضا آنذاك، هي أيضا كانت تريد حضور هذه المسابقة والحصول على هذه الفرصة، لكنها رحلت مبكراً قبل تحقيق الحلم، وبقيت هذه الفتاة تفكر في النجاح بعدها وتتدرب..

_اليوم ذكرى وفاة سناء، لقد كان حلمها الرقص على ذلك المسرح أيضا.

قال بهدوء وهي تنظر له بحزن عميق ثم أجابت بصوت خافت:

_أجل، لكن لا تحزن يا عزيزي ربما هي أسعد الآن.

_هل ستكونين سعيدة إذا مت ولم تحققي حلمك؟

أومأت في حزن وقد تتذكر صديقتها "سناء" تحاول في صعوبة إخفاء ألمها عن رواد فما يعانيه يكفيه وأكثر، اتجهت للسيارة لتسمع صوته الأجش وهو يقول من خلفها:

-همس.. لا أستطيع إيصالك والدتي مريضة سأذهب إليها الآن وأنت خذي سيارتي وسأتبعك بعد قليل.

أجابت مستفسرة:

-هل والدتك بخير!! أقدر لك هذا لكنني لن أذهب قبل الاطمئنان عليها.

-اذهبي يا همس، ستكون بخير هيا أسرعي.

نظرت لنظرته المشجعة التي تطل من عينيه واتجهت نحو السيارة لتذهب بمفردها على أمل أن يلحق بها، لكنها لم تعلم حينها أنه سيلحقها للمستشفى وليس إلى المسرح والمسابقة؟ لقد بترت ساقها في حادث شنيع أثناء سيرها بسرعة بتلك السيارة كما تعطلت فراملها ولم يرحمها الحادث بل أدى إلى بتر ساقها وحلمها، حرمها من الالتفاف فوق ذلك المسرح والدوران بخفة والرقص في باحات المنازل وعلى الأرصفة وفوق المسارح.

عادت للواقع وأنقذها الصراخ في الخارج من هذه الذكريات القاسية، أخذت نفسا عميقا واستندت على عكازها ثم افلتته قليلا وهي

تحاول الالتفاف والطيران في الهواء كما كانت تفعل ســـابقاً لكنها لم تلبث أن فقدت توازنها لتســـقط على الأرض كما ســـقط أملها في الرقص مجدداً أيضـا، شـهقت بقوة وتعالى صـوت أنينها ليدوي تلك الغرفة.

_همس.. ماذا يحدث؟
رفعـت عينـاهـا المغرورقتين بـالـدموع لتنظر لرواد الـذي أدرك أنهـا هناك بلا شك:
_لا أســتطيع الرقص، رواد كان يجب أن أرقص معك اليوم، كان هذا هو حلمي.
اقترب منها وهوى يلاحظ حجم الألم والوجع في كلامها وقال هامساً وهو يجثو على ركبتيه بجوارها:
_سـناء أيضـا كان يجب أن ترقص معي ذاك اليوم، كان حلمها كما هو حلمك.
نظرت باستغراب لوجهه وقالت:
_ما الذي ذكرك بها الآن يا رواد؟
رد بتهكم:
_هي خسرت حلمها لأنها ماتت، وأنت فقدته لإنكِ فقدت سـاقك، هكذا تعادلتما.
جحظت عيناها وصرخت:
_ما الذي تهذي به!!!!!!
_لا شيء... أنت قتلتها وأنا قتلت حلمك، لقد تعادلنا.
_يا إلهي... أيعقل أنك افتعلت الحادث!؟؟ أنا لم أقتلها، لقد كان حادثا، هل.. هل فعلت بي هذا حقا يا رواد!! ألا تحبني؟

_لقد خسرت نفسي وقتما خسرت شقيقتي، فكيف تريدين مني أن أحبك!! وها قد انتقمت وجعلتك تخسرين حلمك.

لم تصدق ما سمعت أذناها، بكت بحرقة وهي تقترب منه زاحفة وتهتف بغل يمتزج بألم:

_كيف فعلت بي هذا، أكرهك يا رواد أكرهك، أنت لا تعلم كم كنت أحب شقيقتك، لقد كانت أعز صديقاتي.

_كاذبة، لو كنت تحبينها لما أكملت مسيرتك دون أن يرف لك جفن، ومع من!!! معي، مع شقيقها الذي يجاريك في الرقص.

صرخت مقهورة وهي تقول:

_لقد وعدتها، وعدتها بعد أن طلبت مني أن أكمل حلمها، وعدتها أن أحقق ذلك من أجلها، وهذا ما جعلني أتعب كل تلك المدة بذاك الشكل، كل ذلك كان من أجلها لا من أجل نفسي، لقد حزنت اليوم لأجلها أكثر من حزني على نفسي، أنت، أنت لن تفهم صداقتنا أبداً أبدا.

صدم رواد من كلام همس، لم يكن يتخيل أنها تعبت كل تلك المدة من أجل تحقيق حلمها وحلم شقيقته، لم يكن يتخيل بأن هذه الفتاة الهزيلة الجسد العظيمة الروح تحمل على عاتقها حلم شخصين في نفس الوقت، لقد دبر بمكر لذلك الحادث الذي أفقدها قدمها، نظر لها ولشهقاتها القوية وهي تتمتم:

_لقد قتلتني وقتلت حلمي وقتلت حلم أختك للمرة الثانية أيضا، لقد وثقت بك لأنني كنت أثق بأختك...

قاطعها وصوته الوجل يرتعش بين شفتيه:

_همس..

_أخرج، أخرج لا أريد رؤيتك من جديد وإلى الأبد، أنت لا تســـتحق حتى أن أهدر دموعي لأجلك، أنت لا تســـتحق الحياة، أنت مجرم.. أتسمعني!! مجرم.

لم يعلم ما كان شـــعوره آنذاك، لكنه أدرك خطأه الفادح متأخراً، تراجع للخلف ونهض بسرـــعة ليعود على عقبيه مذلولاً وعلامات الندم تأكل ملامحه في شراهة، صرخ بأعلى صوته بألم وهو يفر هارباً خارج المسرـــح الكبير؛ خارج كل شيء؛ خسرـــ حبيبته التي لم يعلم بمدى حبه لها، من رغبته البشعة في الانتقام، ولم يعلم أنه أخطأ في حقها وحق ســناء ونفســه، وكان يظن أنها لم تبالي بموت شــقيقته، كل هذا أعماه وها هو الآن خسرـها، وخسرـ حبها، بعد أن أخسرـها حلمها مع شـــقيقته، ولن ينفع الندم، وقد أدرك أن الانتقام أعمى بصيرته، وخسر كل شيء.

أما هي فبقيت تبكي بحرقة لتنهض بعدها متكأة على عكازتها وهي تمسح عبراتها، وتمسح خيبتها المريرة، وقد ضاع حلمها وخاب أملها وتهدم حبها بسبب انتقام غادر.